المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN: 2710-095 Electronic ISSN 2790-1254
عدد خاص بالمؤتمر العلمي الدولي الثامن لكلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية – جامعة بغداد بعنوان
التكامل المعرفي للدراسات التربوية والاجتماعية

من سلطنة الروح إلى شعرية السلطة
مقاربة تفكيكية في الخطاب الشعري الصوفي في عصر دولة بني رسول

م.د. غفران جبار شمخي جابر
جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية
Gofran.j@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص:
أرتبط الشعر بالدين الإسلامي منذ وقت مبكر يؤرخ بزمان توجيه حسان بن ثابت ومعاصريه أشعارهم للدفاع عن الدعوة الإسلامية مستعينين بالقوافي لمواجهة الخصوم، ثم نما ارتباط الشعر بالدين شيئاً فشيئاً إلى ان أتجه في العصر العباسي إلى اما الاستسلام التام والفناء الكامل في الذات العلية وكان قد بدأ ذلك في شعر ابن الفارض وأشباهه من أهل التصوف، أو الشك والحيرة والثورة على ما يجد في الحياة الاجتماعية، سرى هذا التطور على الشعر في عموم الدولة الإسلامية في عصر بني العباس ومنها اليمن بوصفها جزءً من الدولة العباسية، وعصر الدولة الرسولية (بني رسول) التي عدت أشهر دولة في التاريخ الإسلامي لليمن.
الكلمات المفتاحية: الشعر الصوفي، دولة بني رسول، التفكيكية، الخطاب الشعري

Abstract:
Poetry became intertwined with lslam from an early period, dating back to the time when Hassan ibn Thabit and his contemporaries directed their verses toward defending the lslamic call, employing rhyme as means to co- nfront opponents. This bond between poetry and religion gradually deepen- ed until, in the Abbasid era, it took one of two directions: either complete su bmission and total dissolution into the Divine Self-atendency that began with poetry of lbn al-Farid and others among the Sufi tradition or an inclination doubt, perplexity,and revolt against emerging social realities. This evolution permeated poetry across the broader lslamic world during the Abbasid era , including Yemen, which was an integral part of the Abbasid realm, and later during the Rasulid state- considered the most renowned lslamic dynasty in the history of Yemen.
Keywords: Sufi Poetry , the Banu Rasul State , Deconstruction , Poetic discourse .

توطئة:
على الرغم من دخول المجتمع اليمني في الإسلام منذ وقت مبكر إلا إن الروح القبلية لم تنتهِ، إذ لم تصبح اليمن جزءً من كيان الدولة الإسلامية دفعة واحدة، وإنما كان ينظم اليمانيون إلى هذا الكيان فرعاً فرعاً وقبيلة قبيلة[1]، تعامل الرسول الكريم محمد(ﷺ) مع هذا الوضع عبر تولي رئيس كل قبيلة مسؤولية قبيلتهِ أمام الدولة الإسلامية عندها شهدت اليمن في القرنين الثاني والثالث للهجرة ازدهاراً واستقراراً في تثبيت أسس الثقافة الإسلامية.
عرف الشعر الصوفي وانتشر على إنه شعر وجداني يتغنى بالحب الالهي وحب الرسول الكريم(ﷺ) يسخر المقدرة الشعرية للاندماج مع كل ما هو بعيد عن الدنيا؛ لذلك عُدت اشعار المتصوفة حالة خاصة تفكر وتعبر عن الذات الإلهية وعلاقة الروح/ الشاعر بها بعيداً كل البعد عن مدح الملوك والوزراء، أرتبط الصوفيون بساسة دولة بني رسول منذ بداية عهدها فقد كان للملك المؤسس عمر بن علي الرسولي علاقة وطيدة مع الرموز الصوفية امثال الشيخ محمد بن أبي بكر الحكمي (ت617هـ) والشيخ محمد بن حسين الجبلي(ت621هـ) اللذين ساعدا بن رسول على تأسيس دولتهم في اليمن بعد ضعف دولة بني ايوب[2]، فضلاً عن احمد الرداد[3] الذي عُدَّ من كبار شعراء المتصوفة وعلمائها حيثُ أنفق ماله

وكلماته في الدفاع عن دولة بني رسول، فما شاع عن متصوفة بني رسول من الشعراء هو تسخير اشعارهم لخدمة الاهداف السياسية كمقابل للدعم السياسي السخي لهم ومحاولاته في كسب ودهم؛ بسبب استمالة الشعب نحوهم واشتهارهم في حبهم للصوفية وتقديرهم للمتصوفة، وكان قد عبر الشاعر الصوفي احمد الرداد عن ذلك في ابيات غمز فيها شعراء جلدته عبر تذكيره لهم بروح التصوف وأصوله وغايته وإنه ليس هو مدح مأجور أو فخر موازي، وانما هو (خلقٌ لمن يتخلق، جود بلا هوى، تدفق وتعفف) وليس (شيخ، مسبحة، سجاد، دعوى) في محاولة منه لخلق فجوة توتر بين ما شاع من قوالب صوفية اجتماعية وبين ما يحس بتجربة فردية تبين أن التصوف عملية حركة روحية مستمرة نحو التحلق والتحقيق تؤدي وظيفة ثقافية وتنتج معنى وجودي واجتماعي متدفق عبر (شراب كأس الصبر، والفقر الصريح مروق) ليؤكد عبر كسر أفاق التوقعات التقليدية إن الفقر عبارة عن فضاء للتجربة الروحية الصوفية وليس مجرد حالة مادية في إيقاع وتكرار وتناقض يخلق التناقض اللفظي المتعمد لإظهار العطاء بلا رغبة شخصية ومن اشعاره[4]:

لـيس التّـصوفُ مـثل مـا
زَعَـمَ الـدَّاعـي الأحـمَقُ
شـيُخٌ ومسبَـحَةٌ وسَـجَّا
دُ وَدَعْـــــوى تُـــحْرِقُ
إنّ التَّـــصوفَ كـــــلهُ
خَـــــلقٌ لـــمن يَتَـخَلَّقُ
وهـــوى يجود بـــلا هوى
وحـــــشاشةٍ تتـــــحرقُ
وعـــزائم مـن دونـــــها
يكـبو الـــــجواد المطلقُ
وَتَـــدفُّقٌ وتَعَفُّفٌ وتـــرفعٌ
وتعـــلق وتحـــلّقُ وتَحَـقُقُ
ولباس ثـوب العري مـــن
كـــلُ الـــوجود ممنطقُ
وشراب كأس الصبر فـي الـ
فـــقر الصـــريح مـــروقُ
هـــذا التصوف ليس مـــا
قـــالوا وقـــولي أصـــدقُ

اتجاهات الشعر الصوفي في عصر دولة بني رسول:

أولاً: شعر التغني بالذات الإلهية:

عُدَّ شعر التغني بالذات الإلهية اتجاهاً أدبياً ترعرع في احضان الفكر الصوفي وشكل حالة خاصة في الشعر الديني وشعر الالهيات الذي يعتد بإدراك الشاعر لحقيقة هامة في تسامي النفس ونمو طمأنينتها عبر الإيمان العميق بالخالق العظيم القادر على كل شيء، فيكون العبد/الشاعر مع خالقهِ بلا علاقة عبر(تدريب النفس على العبودية وردها لإحكام الربوبية)[5]عندها يكون مقرب من الحضرة الإلهية؛ لأن بطهارة نفسه ينشرح صدره بالحقيقة المحمدية وبصفاء قلبه يستضيئ بالأنوار الإلهية حينها يرى العالم/ الوجود ما هو الا انعكاساً للجمال أو الحب الإلهي، والشعراء الصوفيون هاموا في الحب الالهي؛ لإدراكهم بان لا ملجأ من الله إلا إليه، عُدَّ عبد الرحيم البرعي من أشهر شعراء اليمن والمتفرد منهم بالشعر الهائم في الذات الإلهية يقول[6]:

إليه بـــــــه سبحانه أتـــوسَّلُ
وأرجو الذي يُرجى لَدَيهِ وأسألُ
وأحسن قصدي في خضوعٍ وذلةٍ

لـــــــهُ وعليه وحـــــده أتوكلُ
وأصبحت آمالي إلى فَضَل جودةِ
وأنـزلُ حاجاتي بمن ليسَ يَبْخَلُ
فسبحان من تعنوا الوجوهَ لوجهه
ومن كـــــــل عـزّ لـــه يتذللُ
وسبحان مجرى الرّيحَ في كل مَوضع
لتبلغ كـــــــل العالمين وتشملُ

يبرز النص في ظاهره مناجاة يتوجه بها الشاعر إلى التأكيد على خضوعه وإقراره بالعجز الإنساني أمام قدرة الخالق وفضل جوده بتعبير يتسامى بلغتهِ عبر انتقاءه لمفردات وثنائيات ضدية عالية التعبير، فيؤكد في (أتوسل، أتوكل، أرجو) على وجودية العبد، وفي (فضل جوده، لا يبخل) على التسليم المطلق والعطاء المستمر المرتبط بالغياب ، أي هو لا يعرف كيف يتأتى جواب سؤاله لكنه يثق بمجيئه، ويثق بغياب الله المادي لكنه يثق بإحاطته له ووجوده الكلي، لذلك تنقل في كلامه بين الفعلين أتوسل وأتوكل وحصر حالته بين الطلب والتسليم(أتوسل/ أطلب، أتوكل/ أسلم)، كتأكيد غير مباشر على ان الطلبات لا تؤتي رجاها إلا بعد التسليم، بالتالي النص يُعلم أن العبد لا يمكنه فعل شيء من دون التوكل على الله والتسليم به، لكنه يبرر في الوقت ذاته قيمة العبد ونيته الصافية وهو بهذا يحول العجز الظاهر في الطلب والتسليم إلى فعل معنوي داخلي قوي، لان خضوع العبد نفسه قوة، لذلك يتخذ من مفرداته هذه وسيلة للظهور المعنوي، ودلالة على الغياب السلطوي الحقيقي للبشر، لذلك يرسم الشاعر في ابياتهِ مظاهر التقوى المعلنة والتسليم المقنع كصور مركزية مقنعه للصور الهامشية المسكوت عنها التي تبرز هشاشة البشر الذين يتخذون من الدين والورع أغشية يخبؤون خلفها مقاصدهم في الطمع ، فيقابل الشاعر في تصريح معلن قوة السلطة الإلهية وبتصريح هامشي مغشى السلطة الانسانية المتلاعبة، فالنص غني برموزه الهامشية التي تتضمن رسالة نقد اجتماعي لمن اتخذ من ورعه غاية للوصول إلى اطماعه ومن قناع تدينه وسيلة لخداع الناس وكسب ودهم.

أن طريقة الشاعر في انتقاء وترتيب الافعال في ابياته وحرصه على بيان طريقة الانفعال وتراكم معانيها على مسامع القارئ وأدوات استجابته لها تخلق لديه تدرجاً انفعالياً استمرارياً يبدأ بالتوسل ويتبع بالرجاء ثم الخضوع ثم الاعتماد ثم التسليم المطلق، فضلاً عن انتقائه للاصوات الانفعالية(الالف والواو والسين والذال) في(أتوسل، أتوكل، أرجو، سبحان، الوجوه، يتذلل) وتكرارها يخلق حالة من توسع الانفعال الداخلي والتفاعل الحقيقي لدى القارئ؛ لأن اصوات الألف والواو تستدر الانتباه النفسي للمعنى وتوحي له بالامتداد والانسياب بينما اصوات(السين والذال) تساعد على زيادة تأثير إيقاع الخشوع المصاحب للانفعال يقول د.عادل الصخراوي:(أن العرب يجعلون أصوات الحروف مطابقة للحدث المعبر عنه، فيكون للحرف ارتباط بمدلول اللفظ الواقع بها فيصورها ويوحي بهيئتها)[7]، بالتالي ان حرص الشاعر في انتقائاته لمفرداته على كسب ود القارئ عبر تضمين ابياته للاصوات التي تعمل على جذب الانتباه النفسي والانفعالي وتشعره بالمصداقية والصدق العاطفي وتهيئه لإدراك المعاني الهامشية التي تكشف زيف الاقنعة التي تكشفها محمولات النص اللغوية التي تنقل بها بين التصريح والرجاء و المناجاة يقول[8]:

قـف بالخضوع ونـادِ ربك يا هُو
إن الكريم يجيبُ مـــــن ناداهُ
واطلب بطاعتهِ رضاهُ فَـــلم يَزل
بالجُودِ يرضي طالبين رضاهُ
شمِلت لطائِفهُ الخلائِق كُـــــــلّها
مَـــــــا لِلخَلائِق كَافِلٌ إلا هُو
فَـــــــــــعَزيزُهَا وَذَلِيلُهَا وَغَنِيُّهَا
وَفَقيرُهَا لا يَـــــرتَجُونَ سِوَاهُ
هُـــوَ أوَّلٌ هُـــوَ آخِرٌ هُوَ ظَاهِرٌ
هُـــوَ بَاطِنٌ لَيسَ العُيُونُ تَرَاهُ
رَبٌ رَحـــــــــيمٌ مُشفقٌ مُتَعَطفٌ
لا ينتهي بالحصرِ ما أعْطاهُ

كـم نعمةٍ أولى وكـم من كربةٍ
أجلى وكـــم من مبتلى عافاهُ
لا مُحِسنَ الظِن الجميلِ بهِ يرى
سوءً ولا راجيهِ خـــابَ رجاهُ
ولحلمهِ سُبحَانَهُ يُعصى فَـــلَم
يَعُجلُ عَلَى عَبدٍ عَصَى مَولَاهُ
يـــــأتيه معتذراً فيقبلُ عُذْرَهُ
كـــــرماً ويغفرُ عمدهُ وخُطاهُ

حاول الشاعر في ظاهر ابياته أن يبرز صورة التعبد المطلق لله والاعتراف بوحدانيته، لكن في مضمره شكل خطاب مركب يمارس سلطة لغوية عبر بنية الامر والتقرير والنداء حاول من خلالها ضبط المتلقي في مقام الواعظ العالم عبر مفارقة تستعير سلطة الخطاب الديني لتعيد انتاج هيمنة داخلية على المخاطب ليحول مقاصده من(أنا المتكلم الخاشع) الذي يريد ان يخضع الضمير الجمعي له باسم الله ظاهرياً ونحو الخضوع السياسي عبر الانقياد اللغوي هامشياً إلى (أنا الآمر بالنصح)؛ لأن من تملك سلطة القول في الدين يتمكن -لاحقاً- من تبرير سلطة الحاكم باسمه ومباركتهِ، مستعيناً بصوت الخضوع والتذلل عبر تكرارات صوتية يوظفها كأقنعة تبني نشوة لغوية توحيدية تحدث تأثيراً نفسياً على السامع ففي قوله(ياهو، هو أول، هو آخر، هو ظاهر، هو باطن) تأثير مزدوج يخلق في ظاهره شعور بالثبات وفي باطنه فجوة تلقي بين الظواهر التي تدركها الأعين والمضمرات التي تدركها العقول عبر جمل طويلة توضح وتفسر وأخرى قصيرة تأمر في حركة تنتج ايقاعاً نفسياً متذبذباً يسترعي انتباه السامع إلى المعاني/المقاصد الخفية.

يوجه الشاعر غمزاً مبطناً إلى ساسة قومه يبرزه في الظاهر بصورة الايمان ويغشيه في المضمر بصورة إدانة ساخرة من المتزلفين إلى السلطان والسلطة اللذين يستخدمون لغة الخضوع لله ليخضع بها العباد لهم فالذي يقول(قف بالخضوع) هو نفسه الذي يتمرد لغوياً عندما يقول (وبحلمه سبحانه يُعصى فلم ... يعجل على عبده عصى مولاه) فالنص في مجمله عبارة عن تقية شعرية ظاهرها عبادة وباطنها نقد للذين يتسترون باسم العبادة والتعبد. وفي قصيدة اخرى يقول[9]:

لـــــكل خطب مـــــهم حسبي اللهُ
ارجو به إلا من مسى كنت أخشاهُ
وأستغيثُ بـــــــــه في كل نائبةٍ
ومـــا ملاذي في الدارين إلا هو
ذو المن والمجد والفضل العظيم ومن
يدعوه سائله ربـــــــــاه رباهُ
مـــــن لا يقال بحال عنه كيف ولا
بفضلهِ كـــــــم تعالى ربنا اللهُ
أنشاء العوالم أعـــــــــلاماً بقدرتهِ
وأغـــرق الكل منهم بحرُ نعماهُ
وأوجد الخلقَ باري الخلق مـــن عدمٍ
عـــــلى محبةِ خيرِ الخلقِ لولاهُ

يعلن النص في ابياته هذه عن مركزية إلهية يستخدم فيها خطاب التوسل الديني التقليدي من نداء وتوسل ودعاء وثناء، لكنه سرعان ما يحول هذا النداء المعلن إلى آليات مضمرة ينتج في طياتها معاني سياسية واجتماعية، فافتتاحية القصيدة بعمومية التوكل على الله في كل خطب واتباعها بإعلان اشهاري (حسبي الله) يوظفه في الظاهر كفعل كلامي شرعي يؤدي وظيفته الخطابية، وفي المضمر يقتطعه باستثناء متبع يكسر وحدة الاعتماد المطلق ويعيد الفاعلية أمام المطلق الالهي يتجسد بصفة خوف مستبطن من القوة الالهية/ السلطوية، فيبوح عن خوف مقنع بعباءة الثقة، فمثلما مثلت الجملة -في ظاهرها- استسلاماً للقدر والتجرد من القوة الذاتية والتوكل على الله، غمزت في مضمرها قوة السلطان والسلطة والعجز عن مواجهتها واللجوء إلى التكييف معها كإشارة وصفية منه لثقافة الخضوع إلى السلطة بقناع مغلف بالتقوى بدلالة استعارته للفظة(أخشاه) التي تصف علاقة الرهبة أو الهيمنة بين الشعب والسلطة كتشريع رمزي لمطلق السلطة الدينية/ السياسية التي اعاد انتاجها في ابياته بأكثر من صورة وجدت في مجتمعه ومنها صورة (المن) التي تمثل

العطاء السلطوي، وصورة(المجد) التي مثلت هيبة من تملك زمام الحكم من الساسة، وصورة(الفصل) التي تمثل القانون أو الحكم أو القضاء، وهي في مجموعها صور ليست دينية بريئة المقاصد وأحادية المعنى كما يكشف ظاهرها بقدر ما هي صفات لبنية هرمية مجتمعية واستعارات سياسية تشرعن الطبقية المجتمعية/ السياسية في مضمرها تتمثل في (الإله أو سلطان) الذي يمثل قمة المجتمع الهرمية ورعية تستمد كرامتها أو رزقها تمثل قاعدتهِ.

ثانياً: شعر المضامين التوحيدية:

أستند التصوف في اصوله وفروعه إلى التعاليم الدينية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، فعرف على أنه سلوك وزهد في الدنيا ومجاهدة للنفس وكثرة ذكر الله، والتوجه إلى العبادات واجتناب المنهيات[10]، فاشتهر الشعر الصوفي على أنه شعر يرتكز حول فلسفة معينة وفكر خاص ولغة خاصة رسم فيها وأظهر الجانب الروحي من الأدب الذي بحث فيه عن ملكوت الرحمن بلغة راقية منمقة يتداخل فيها المفهوم مع المهمة وتتفاعل البنية مع الوظيفة ، وتوظف المعاني المتقاربة أو المتداخلة للتخييل والمحاكاة الذي يتخطى فيه صور الحب والوجد على منطقية العقل والفلسفة لتنشئ نصوصاً تتضمن معاني توحيدية فريدة تبرز فيها علاقة الحق بالخلق على انها صلة بين عابد بمعبود/ محب ومحبوب يحكم اسسها النص المنزل المنزه الذي يكسوها بطابع الطاعة والخضوع. على اساس ذلك ردَّ الشاعر الشيخ احمد بن علوان منكراً على علماء الكلام ومذاهبهم مؤكداً أن الحقائق تأتي من الله (سبحانه وتعالى) عن طريق القلوب فقال[11]:

شمس الهدى ولسانُ الرَّبِ خاطبنا
لطفاً بنا بـــــــــكلامٍ منهُ مضمونِ
ينبئ عـــــــــن الله أنباء محققة
وأنت عـــــن فيلسوف إلا فك تنبيني
المنطقُ الـــحقَّ بين الخلقِ مَنْطِقُهُ
لا المنطقيون أهـــــلُ الزَّيغِ والهونِ
اقـــــــــــوالهم فتن للتابعين لهم
وزخرفُ القولِ من وحي الشّياطيْنِ
فـــأن عثرت على كتب مزخرفة
عنهم فقل كتب الـــــــرحمن تكفيني
ولا تظن بـــأن السر مـا وضعوا
وليس الحقائق تمحى بـــــالاضانين

يوجه النص في ظاهره المعلن إعلان لخطاب جدلي ديني بين سلطة عليا وهي الحق الإلهي وبين المنطق الفلسفي العقلي ليؤكد فيه أن اصل الحقيقة يكمن في (شمس الهدى، لسان الرب، انباء محققة، الحق) وهي استعارات تشرعن دعوة حقيقية للتمسك بالذمم القلبية كمعيار للهدى والحق، اما في مضمرها المسكوت عنه هي استعارات ترفض الفلسفة في بيان الحقيقية؛ لأنها زيف، و كلام الفلاسفة قد يضل في صياغة اشهارية تؤكد على قداسة المرجعية الالهية من زيف أو تحريف أو زخرف كل ما خرج عنها، بالتالي يوظف النص لغة القداسة للتحذير ممن وصفهم(وحي الشياطين، المنطقيون أهل الزيغ والهون) اللذين يتخذون من الخطابات الدينية عناصر تهيئ الأدوات الاجتماعية المناسبة التي تشرعن سياستهم، فصفة القداسة التي تلتصق بمرجع معين شيخ أو خطاب يمكن إن يتخذوا منها حجة وغطاء لتبرير قراراتهم الجماعية أو السياسية اللازمة الطاعة؛ لأنها مغشاة بغشاء الاخلاق والدين لا السياسة، أي ينتج عنهم خطاب يقصي النقد ويهيئ الاسباب اللازمة لإحاطته بطاعة المجتمع التي يمكن ان تتحول تدريجياً إلى طاعة سياسية.

ينتج النص عبر شبكة علاقاته اللغوية وعملياته التراتبية وأدواته الخطابية نسخة تعبيرية سياسية أحادية لا محض دينية تتموضع فيها الافكار السلطوية والسيطرة السياسية على العقول في هامشها المسكوت عنه.

يحذر الشاعر في البيتين التاليين من توحيد التقليد والطبع فيقول(الحذر الحذر يا ارباب الاستفادة ان تعبدوا الله على الطبع والعادة وتوحدوه بتوحيد الولادة)[12] وهو بذلك يؤكد على أن التوحيد الحقيقي يأتي من خلال التعمق في التفكير في مخلوقات الله داعياً كغيره من الشيخ والشعراء الصوفيين إلى جعل التوحيد على وفق مراتب معينة فيقول معيباً[13]:

تلقّنَ التّوحيدَ عـــــن أمّه
وبعدها لقّنه الـــــــــــوالدُ
لـــو دخل التَّوحيدَ في قَلْبِهِ

لباتَ وهـــــو العابدُ الزاهدُ
اللهُ اللهُ وهـــو أكبر مــن
جِـــدالِكمُ والمرادُ بَعدَ هَدى
عودوا إلـــى دينكم وسنتكم
تستنجزوا ما قضى وما عدا
تـــــآلفوا لا تخالفوا فِرقَاً
كونوا هديتمُ على الطغاةِ يَدا
والله لـــولا الخلافُ بينكم
ما ملك الصّالحين من فسدا

يؤكد الشاعر عبد الرحيم البرعي[14] الذي لم يترك غرضاً من أغراض الشعر الديني إلا ونظم فيه أن الانوار تجلت بتوحيد الله في غمز منه على ان جحودها عار فيقول[15]:

تَجلّت لِـــــــوحدَانيةِ الحِقّ أنوارُ
فَدلّت عـــلى أن الجُحُودَ هو العارُ
وأغرت بَـــداعي الحقّ كل موحّدٍ
لمقعدِ صِدقٍ حبذا الجارُ والـــدارُ
تراءى لهم في الغيب جـــل جلالهُ
عياناً ولـــم يُدركهُ سمعٌ وابصارُ
فسبحان مـــن تعنو الوجوهُ لـوجههِ
ويلقاه رَهـــــن الذّلِ من هو جبارُ
عَظيمٌ يهونُ الاعظمُونَ لـــــــعزهِ
شدِيدُ القوى كافٍ لذي القهر قهارُ
لطيفُ بلطفِ الصنعِ فضلنا عـــلى
خلائقَ لا تُحصى وذلـــــك إيثارُ
يرى حركات النمل في ظلم الدجى
ولـــم يخفِ إعلان عليه وإسرارُ
تسبح ذراتُ الـــــــــوجودِ بحمدهِ
ويسجدُ بـــــالتعظيم نجمٌ وأشجارُ

هم الشاعر في نظم ابياته هذه بطريقة خطابية تراتبية تصاعدية يتقابل فيها كل لفظ معلن مع ضده المسكوت عنه أو الهامش، وكل فعل معلن مع ما يقابله من خطاب دلالي مؤجل عبر لعبة لغوية تسيس الخطاب الشعري لكشف أصول المعاني وانزياحاتها الدلالية من توحيد الله إلى توحيد السلطة عبر علاقات لفظية متوازية تسقط سلطة الاله (عز وجل) الظاهرة على صورة الحاكم في المجتمع ومنها (وحدانية الحق، والجحود، و العار) وهي قيم اخلاقية مطلقة قابلها بصور تسلط الحاكم المسؤول وقوة نفوذه، والعصيان السياسي والخروج عن الطاعة وهو استنساخ لرموز دلالية ترسم نظام الثواب والعقاب في الحياة وتسقط عناصر القوة الالهية لوصف آليات تثبيت المبدأ السلطوي في الدولة وعلاقته بمبدأي الولاء والطاعة والعصيان والمعارضة، وعبر علاقات ألتخفي والتجلي اللفظي ينشئ الشاعر علاقات خطابية منقلبة متخذاً من البلاغة حيلة للتدجين لها، فقوله(تجلت، أنوار، دلت، عزت، تراءى) هي افعال تجلي وظهور مقابلة لألفاظ الخضوع، وقوله(تجلت لوحدانية الحق أنوار) صورة كشف واعلان لسلطة المعنى العمودية قابلها بصورة خضوع وخوف تؤسس لمبدأ الطاعة كقيمة دينية ظاهرة تسقط ضمنياً على نموذج السلطة البشرية وهي(ويلقاه رهن الذل من هو جبار) ليتبعها بمفردات تخلق توازن ظاهري وهيمنة مركزية تخلق توازن دلالي حقيقي يخفف من حدة الغمز وقوة المعنى التي يبرزها هامش النص عبر بنائها ببلاغة تحيل المعنى الظاهر إلى المضمر عبر أقصاء الأثر/ الهامش وعلو شأن المركز/ الظاهر، فالحق لا يعلو إلا بوجود الجحود والعز لا يظهر إلا بوجود الذل وهكذا...

الخاتمة

1- عرف الشعر الصوفي بانه شعر يرتكز حول فلسفة معينة وفكر خاص ولغة خاصة يظهر فيها الجانب الروحي من الأدب الذي يبحث فيه عن ملكوت الرحمن بلغة راقية منمقة يتداخل فيها المفهوم مع المهمة وتتفاعل البنية مع الوظيفة ، وتوظف المعاني المتقاربة أو المتداخلة للتخييل والمحاكاة الذي يتخطى فيه صور الحب والوجد على منطقية العقل والفلسفة.
2- همَ شعراء المتصوفة من بني رسول بنظم نصوصاً شعرية تتضمن معاني توحيدية فريدة تبرز فيها علاقة الحق بالخلق على انها صلة بين عابد بمعبود/ محب ومحبوب يحكم اسسها النص المنزل المنزه الذي يكسوها بطابع الطاعة والخضوع.
3- حرص متصوفة بني رسول من الشعراء في انتقائاتهم لمفردات قصائدهم على كسب ود القارئ عبر تضمين ابياتهم للاصوات التي تعمل على جذب الانتباه النفسي والانفعالي وتشعره بالمصداقية والصدق العاطفي وتهيئه لإدراك المعاني الهامشية التي تكشف زيف الاقنعة التي تكشفها محمولات النص اللغوية والتي يتنقلون بها بين التصريح والرجاء و المناجاة.

المصادر والمراجع:

1- التصوف الذي نريده: أبو محمد رحيم الدين، مكتبة أم القرى، ط1، القاهرة- مصر، 2009
2- التصوف عند احمد ابن علوان: عبد الكريم قاسم سعيد، مكتبة مراد، د.ط ، صنعاء، 1997
3- حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول: عبد الله الحبشي، منشورات وزارة الاعلام والثقافة، اليمن، ط2، 1982
4- ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية: عبد الرحمن البرعي ، المكتبة الثقافية، ط1، بيروت- لبنان، 1992
5- كتاب الفتوح الفائق : الشيخ احمد بن علوان، تح: عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب، دار الصفاء للطباعة والنشر، ط4، السعودية، 1990
6- النظم الإسلامية في اليمن: د. عبد الرحمن عبد الواحد شجاع، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت- لبنان، 1989

المجلات والدوريات:

1- الاصوات اللغوية أدوات للإبداع الأدبي: د. عادل صخراوي، مجلة نقد وتنوير، ع 11، اذار- مارس2022
2- شعر العرفان الصوفي: خصائصه الفنية وتجلياته الجمالية: د. اسماعيل خليل الماضي، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، ع73، العراق، 2024

---

[1]- ينظر: النظم الإسلامية في اليمن: د. عبد الرحمن عبد الواحد شجاع، دار الفكر المعاصر، ط1، بيروت- لبنان، 1989: 16

[2]– حياة الأدب اليمني في عصر بني رسول: عبد الله الحبشي، منشورات وزارة الاعلام والثقافة، اليمن، ط2، 1982: 45

[3]– احمد الرداد: من كبار اصحاب الشيخ اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي وخليفته بعد وفاته، واحد كبار أدباء التصوف وعلمائه في اليمن ، أخذ التصوف عن شيخه الجبرتي فأنكب على مطالعة الكتب الصوفية وتأليفها حتى نسي أهله وأولاده، وله العديد من المؤلفات المشهورة. ينظر: المصدر السابق: 233

[4]– م.ن: 234

[5]– التصوف الذي نريده: أبو محمد رحيم الدين، مكتبة أم القرى، ط1، القاهرة– مصر، 2009: 21

[6]– ديوان البرعي في المدائح النبوية والربانية والصوفية: عبد الرحمن البرعي، المكتبة الثقافية، ط1، بيروت– لبنان، 1992 : 21– 23

[7]– الاصوات اللغوية أدوات للإبداع الأدبي: د. عادل صخراوي، مجلة نقد وتنوير، ع 11، اذار–مارس2022: 493

[8]– ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية: عبد الرحيم البرعي: 15– 17

[9]– المصدر السابق: 17–19

[10]– ينظر: شعر العرفان الصوفي: خصائصه الفنية وتجلياته الجمالية: د. اسماعيل خليل الماضي، مجلة مركز دراسات الكوفة، جامعة الكوفة، ع73، العراق، 2024

[11]– كتاب الفتوح الفائق : الشيخ احمد بن علوان، تح: عبد العزيز سلطان طاهر المنصوب، دار الصفاء للطباعة والنشر، ط4، السعودية، 1990: 543– 546

[12]– التصوف عند احمد ابن علوان: عبد الكريم قاسم سعيد، مكتبة مراد، د.ط ، صنعاء، 1997 : 99

[13]– كتاب الفتوح: الشيخ احمد بن علوان: 324– 326

[14]– عبد الرحيم البرعي: احد اعلام اليمن البارزين، شاعر متصوف من سكان النيابتين في اليمن له ديوان شعر مطبوع والكثير من المؤلفات. ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية: عبد الرحيم البرعي: 2–3

[15]– تجلت: انكشفت، أنوار: جمع نور هو في الاصل الضوء أياً كان شعاعه، والمراد هنا الادلة القائمة على وحدانية الله تعالى، الجحود: انكار الشيء مع العلم بهِ، العار: كل شيء لزم به عيب، أغرت: أولعت، تعنو: تخضع، إيثار: تفضيل، في ظلم الدجى: الظلم: جمع ظلمة، والدجى: الظلمة الشديدة. ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية: عبد الرحيم البرعي: 3–4